

## برنامج أنوار كاشفة

## سفر الأمثال

## الحلقة السادسة والستون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثنا فيها عن أثر الكلمة التي تقال في الوقت المناسب، ونتيجة كلمة التوبيخ على الإنسان. وعن أهمية الأمانة، وضرورة الابتعاد عن الإدعاءات الكاذبة. وأن الخبر الطيب يكون كال مياه الباردة للنفس العطشانة.

هل تعلم مستمعي أن نقص الموارد والفقير يكونان أحياناً نتيجة للكسل؟ فالفلاح الذي يهمل زراعة حقله لن يجد محصولاً في يوم الحصاد. وكذلك التاجر الذي لا يقوم بعمله بكل جد ونشاط، لن يكسب المال الذي يكفي لمعيشته هو وعائلته. وهكذا الإنسان الذي ينام ولا يعمل يعرض نفسه للفقير. حول هذا الموضوع كتب الحكيم قائلاً: "عبرت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم، فإذا هو قد علاه كله القربص وقد غطى العوسج وجهه وجدار حجارته انهدم. ثم نظرت ووجهت قلبي. رأيت وقبلت تعليماً. نوم قليل بعد نعاس قليل وطىّ اليدين قليلاً للرقود، فيأتي فقرك كعداء وعوزك كغاز." (أمثال ٣٠: ٢٤-٣٤)

لقد نظر الحكيم إلى حقل الكسلان وكرمه، فإذا بالشوك قد كساه، والعوسج قد غطى كل أرضه، وجدار حجارته قد انهار. فاعتبر قلبه بما شاهد، وتلقن درساً مما رأى. وأدرك أن الكسل والنوم الكثير، سيجعل الفقر يأتي مسرعاً على الإنسان كقاطع الطريق، والفاقة تحل كالغزو المسلح. أجل، هذه هي نتيجة الكسل. لهذا على الإنسان أن يجتهد ويعمل لكي يحصل معيشته ويؤمن مستوى حياة أفضل له ولعائلته. مع العلم أن هذه هي سنة الحياة، فمن لا يعمل لا يحق له أن يأكل. وقد قال الله قديماً لأبينا آدم بعد أن سقط في الخطيئة: بعرق وجهك تأكل خبزاً. فهل تقوم وتجتهد بعملك يا صديقي؟

هل تعلم يا صديقي أهمية الكلام اللطيف أو اللسان اللين في إقناع الآخرين؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "بالصبر يتم إقناع الحاكم، واللسان اللين يكسر العظام." (أمثال ١٥: ٢٥) إن للكلام أو اللسان دوراً كبيراً في إثبات حجتنا وفي إقناع الآخرين حتى لو كانوا مسؤولين. فهل تراك تحسن استعمال اللسان يا صديقي؟ وهل تحاول أن يكون كلامك دائماً لطيفاً ولسانك مهذباً وليتياً؟ وهذا ما يرفع من شأنك أمام الآخرين.

وفي المقابل إن اللسان غير المهذب والذي يتكلم على الآخرين ويشوّه سمعتهم، لن يحصد إلا النعمة والغضب من الناس حوله. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "رياح الشمال تجلب المطر، واللسان النمام يستأثر بالنظرات الغاضبة." (أمثال ٢٥: ٢٣) فكما أنه عندما تهب رياح الشمال في فلسطين لا بد أن يأتي المطر. هكذا اللسان النمام المنافق الذي يؤدي الآخرين لا بد أن يجلب الغضب. فاحذر مستمعي من هذه الآفة القاتلة.

هل تستطيع ضبط نفسك عند الأزمات يا صديقي؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل المعبر فقال: "مدينة منهمة بلا سور الرجل الذي ليس له سلطان على روحه." (أمثال ٢٥: ٢٨) أي أن الرجل الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه يكون كالمدينة المنهمة التي لا سور لها. وهكذا تسقط أمام الأعداء. إن ضبط النفس هو من الأمور الهامة جداً في حياتنا. وضبط النفس لا يتجلى عند الأزمات فحسب بل في كل خطوة نقوم بها، وكل سلوك نسلكه. فعلينا أن نضبط نفوسنا لكي لا نقع فريسة الأهواء، ونصبح غنيمة سهلة للآخرين، أي تُهان كرامتنا وتتلوث سمعتنا. فهل ترانا نعرف كيف نضبط نفوسنا؟

صحيح أن ضبط النفس ليس بالأمر السهل، لا سيما إذا كنا تحت سيطرة وعبودية أهواء الجسد الفاسدة. لكن ضبط النفس يصبح ممكناً عندما نتحرر من عبودية الخطية، ونأخذ الطبيعة الروحية الجديدة، عن طريق المخلص المسيح. وعندها نستطيع أن نكبح جماح أهواء الجسد ونضبط نفوسنا.

صديقي المستمع، هل تطلب دائماً ما هو لنفسك؟ وهل تسعى لكي تظهر نفسك أمام الآخرين؟ وأن تفتخر بما هو عندك؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "كما أن الإكثار من التهام العسل مضر، كذلك التماس المجد الذاتي مدعاة للهوان." (أمثال ٢٥: ٢٧) فكما أن أكل العسل الكثير يؤدي إلى ضرر الصحة، هكذا طلب الإنسان مجد نفسه يسبب له خسارة كرامته. إن الطريقة المثلى هي أن لا نرفع أنفسنا أمام الآخرين ونمجدها، بل لندع الآخرين يرفعوننا عندما يروا فينا الصفات التي تؤهلنا إلى ذلك، وإلا لتعرضنا للإهانة وفقدان كرامتنا.

وفي هذا المجال كتب سليمان الحكيم أيضاً قائلاً: "لا تتباه أمام الملك، ولا تقف في موضع العظماء، لأنه خير أن يقال لك: ارتفع إلى هنا من أن يُحطّ مقامك في حضرة الرئيس، الذي شاهدته عيناك." (أمثال ٢٥: ٦ و٧) ولقد تحدّث المخلص المسيح فيما بعد عن هذا الموضوع. فنقرأ ما يلي:

وقال - أي المخلص المسيح - للمدعوين مثلاً، وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكآت الأولى قائلاً لهم: متى دُعيت من أحد إلى عرس فلا تتكئ في المتكأ الأول لعل أكرم منك يكون قد دُعي منه. فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك أعط مكاناً لهذا. فحينئذ تبتدئ بخجل تأخذ الموضع الأخير. بل متى دُعيت فاذهب واتكئ في الموضع الأخير حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك يا صديق ارتفع إلى فوق. حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع." (بشارة لوقا ١٤: ٧-١١)

إن مغزى مثل سليمان الحكيم وحديث المسيح هو هذه القاعدة الذهبية: "إن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع." وهذا لا ينطبق على اختيارنا لمكان الجلوس في المتكئات فحسب، بل على موقفنا وسلوكنا اليومي. فإذا أردنا الرفعة في المجتمع علينا أن نتضع أولاً، وإلا لحصل العكس.

هل تعلم مستمعي ما هو أهم دليل على إتضاعنا؟ إنه أن يعترف كل واحد منا بأنه خاطئ ومستعبد للخطية وأهواء الجسد الفاسدة، وبحاجة بالتالي إلى خلاص الله بواسطة المخلص المسيح. وكما قال المسيح أيضاً: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لأنني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة." (بشارة متى ٩: ١٢ و١٣)

إن أول خطوة لكي يستطيع الطبيب معالجة المريض، هو أن يعترف أنه مريض. وهكذا نحن علينا أن نعترف أننا خطاة وبحاجة لكي نأتي إلى الطبيب العظيم المخلص المسيح. وعندها نأتي إليه تائبين عن ذنوبنا، وطالبيين منه أن يغفرها لنا ويحررنا من عبوديتها. فهل تتواضع مستمعي وتأتي إلى هذا الطبيب العظيم المخلص المسيح؟ وهل تعلم أنه الوحيد القادر أن يحررك من قيود الخطية ويغفر ذنوبك؟ وهو الوحيد الذي يرفعك ويجعلك من أولاد الله؟